يُحكى أن

قصص قصيرة



الصديق بودوارة

منشورات

مجلس تنمية الابداع الثقافي ـ الجماهيرية



الصديق بودوارة

يُحكى أن ..

قصص قصيرة

الطبعة الأولى

2004

يحكى أن

قصص قصيرة

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية (5571)
الترقيم الدولي (ردمك 9- 014 -38 -ISBN 9959)
الطبعة الأولى 2004

الناشر : مجلس تنمية الإبداع الثقافي

الإهداء

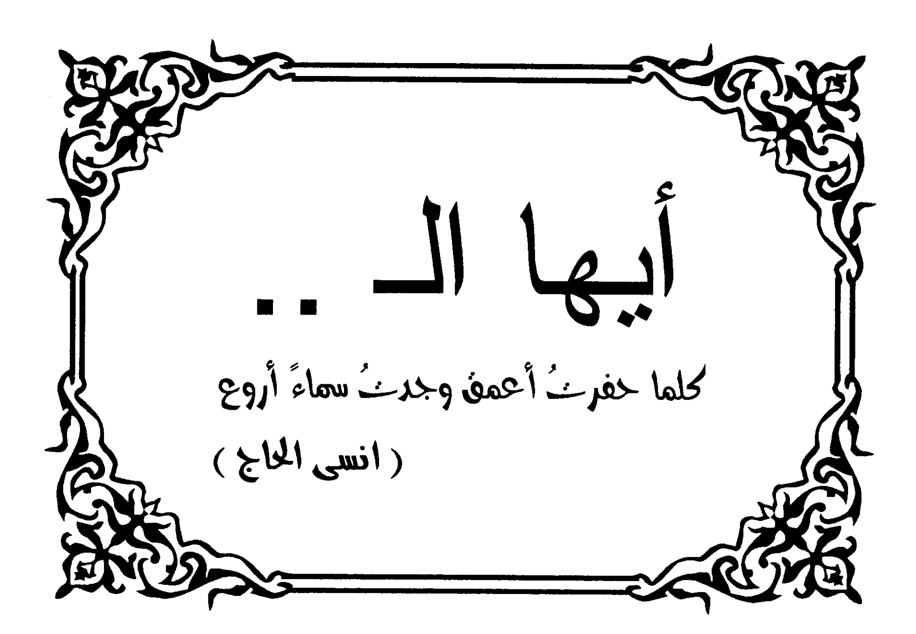
اليها .. طبعاً !!

سيرة ذاتية

- الصديق ابريك بودوارة
- بريد الكترونى ELFAHEK@MAKTOOB.COM
- بكالوريوس اقتصاد زراعى 1989
- ليسانس آداب قسم تاريخ 2000
- يكتب القصة والمقال.
- يكتب زاوية اسبوعية بصحيفة الجماهيرية بعنوان (قبل أن أنسى).
- صدرت له (شجرة المطر) مجموعة قصصية عام 1988 .
- صدر له (آلهة الأعذار) مجموعة قصصية عام2003.
- له (منساد) رواية.



عيسى يوسف الكويتي



أيها الـ ..

كلما حفرتُ أعمق وجدتُ سماءً أروع

(انسى الحاج)



الدائرة

أيها الجمل ..

صحراءٌ بعرض الكون وذرات رملٍ تُضمر لك الشر ومفازةٌ تنوى لك العطـــش وعطـــشٌ يتوعدك بالموت وموتٌ يتآمر عليك مع صحراء بعرض الكون ..

أيها الجمل .. ها قد اكتملت الدائرة .. فإلى أين ؟!

المصير

سمكـــة ملونة .. وقاع خرافي الحسن يحترف الصمت منذ بدء الخليقة وأنـــياب حيـــتان لا تنقصها الفصاحة وشبكة صيادٍ جائع تتحين الفرص .. هـــناك أيضاً حوض من زجاج بفقاقيع مزيفة مجهز بإتقان مبالغ فيه لاقامة الأسماك الملونة الباعثة على الدهشة ثم السأم في نهاية المطاف.

أيتها السمكة الملونة .. ما الفائدة ؟!

لا تكافؤ ! !

طائرٌ يخترق الفضاء بحماسٍ ظاهر .. والفضاء يبتسم واثقاً من النصر .. علـــى مقربة من المشهد كانت الشمس تُجرى حسبة بسيطة لكنها واضحة كالشـــمس .. للطائر جناحين (قالت الشمس) وللفضاء سبع سموات .. للطائـــر مجـــرد الحماس وللفضاء ثقته فى النصر .. الى هنا اغلقت الشمس كتابها متأسفةً على الطائر الشجاع مصفقةً للفضاء المنتصر .

قيامـــة

ـــــ هيا .. حان دوري .

قال الليل للنهار .

ـــــ الآن .. دوري .

قال النهار لليل .

ـــــ فجأة تنازل أحدهما عن دوره للآخر فانتهيت .

قالت الدنيا .

اختلاف

ـــــ احسب أن .. اقصد .. في الواقع أنت ..

هكذا يولد الحب .. على دفعات ..

عندما يموت لا يفعل ذلك .. يموت فجأة .. كنورٍ ينطفئ .. كزجاجٍ يتهشم .. كرصاصةٍ تصيب مقتلاً !!

عبث !!

أقفرت السماء .. صارت قاحلة وغادرتها السحب ..

هـــنـــاك .. على الطرف الآخر من الدنيا انتظرت الأرض .. أضناها العطـــش وعبث بها الجفاف .. هناك أيضاً ثمة بشرٍ ينتظرون.. يتطلعون إلى الأفق وينتظرون .. أثناء ذلك يموتون عطشاً ويحلمون بالماء .

امتلأت السماء بالغيوم .. هطل المطر وامتلأت به الأرض وغصت به الوديان .. من تهاطله ولدت السيول ومن تناسل السيول أقبلت الكوارث .. هناك أيضاً ثمة بشر ينتظرون .. يتطلعون إلى نفس الأفق وينتظرون .. أثناء ذلك يموتون غرقاً ويحلمون بالجفاف!!

زمن المتاحف

(إلى حبيــبتي) ..كتب العاشق الصغير..(احبك حباً لو أحبه الناس لبعضـــــهم لأصــبحت الأرض جـــنة) .. كـــان يكتب لمعشوقته طالبة المدرســـة.. مـــرت مائة سنة .. أصبح العاشق الصغير هيكلاً عظمياً تحترمه المـــتاحف فـــيما تحولت المعشوقة المراهقة إلى مقبرةٍ سيئة السمعة .. إمـــا الأرض فلم تصبح جنةً حتى الآن.

هرطقة

ـــــ أنا اللبوة .. أمارس الصيد .. افترس .. أُطعم أشبالك الجائعين .. أُشعرك بالأمان والمتعة .. وأنت .. لا تفعل شيئاً سوى التسكع بلا فائدة .. لك الصيت ولي الشقاء .

تكلمت اللبوة حتى مطلع الصباح .. عندها انصرفت للصيد فيما ظل الأسد يتسكع بلا فائدة .

اليقين الصامت

(..**ولى دونكم أهلون**).. قرع الرجل باب اليقين.. وجد السكينة .

(.. **ومن خبر الغواني فالغواني**) .. إلي الآن .. لازال هذا يبحث عن سكينته .. يقف عند اليقين لكنه لا يقرع بابه .. أيها اليقين هل تعــــرف السبب ؟!

ملل

تشــرق الشمس .. تفعل هذا كل يوم .. يقبل الليل فيطفئ النور .. يفعل هذا كل يوم ..

(أين نحن ؟)

جوابها سهل .. بينهما تنطفئ أعمارنا ..

أيها البشر .. هل من خلاص ؟!

السيرة

زجـــاج يتهشـــم في الصـــدر .. غصة في الحلق .. دموع تتجمع في المآقي.. تلك هي السيرة الذاتية للهزيمة .

بديهيات

(جمل يكره الصحراء) .. جمل من ورق .

(جواد جبان) .. جواد من خشب .

(جفاف بلا جوع) .. مسرحية هزلية .

أيتها الدنيا هذه بعض نواميسك .. أليست كذلك ؟!

لو أنه

ـــــ (يا الله .. خذ تفاحتك وابقنى فى الجنة) ..

كان بوسع آدم أن ينهى المأساة عند هذا الحد .. كان بوسعه .. أليس كذلك ؟!

منطق

ـــ كانت جميلة إلى حدٍ لا يُصدق .

ـــــ ومن الذي لا يُصدق .. أليس الكذب ؟

هل كانت جميلةً إذاً إلى حد الكذب ؟!





في حضرة الصمت

(عندما تصمتين تتكلم ضفائرك)

(1)

تكلـــم .. مـــلأ الفـــراغ بالحروف .. اعتلى قمة الحديث فسقط من شـــاهق.. وعندما سكت مدت له الروح يداً من سكينة .. أيها الصمت .. مد له يدك !

(2)

يومها..كانت الأرض وليدّة غضة وكان البحر طفلاً لا يعي ما حوله:

ـــــ لكي نفهم الدنيا نحتاج إلى الصمت .

قالت الأرض للبحر .. صمت الاثنان .. ومرت ألف سنة :

ـــــ إلى متى ؟

تساءل البحر .. وقد أستبد به الكلام فانتهك حرمة الصمت .

إلى الآن لا زالت الأرض تحاول أن تفهم الدنيا بينما يقضى البحر فترة عقوبته هادراً طوال الليل .. متسائلاً في احتجاج :

ـــــ إلى متى ؟

(3)

تلــك اللحظة .. اذكرها جيداً .. عندما هرب منى الكلام .. عندما غــافلنى متســللاً مــن أسر الشفاه المطبِقة عليه .. عندها ارتكبت خطيئتي الصاخبة .. فلتغفر لي أيها الصمت .. معك على الأقل كنت اقترف الخطايا دون صوت !

(4)

قال لها :

ـــــــ معك يصبح الصمت فتنةً للسامعين ويصبح الكلام كسرة خبز في فم جائع بالوراثة .. أيهما تفضلين ؟

قالت له :

ـــــ الخبز يفقد حظوته بالاكتفاء .. لكن الفتنة لا تنتهــي .. فلنصمت معاً لندرك الحظوة التي لا يفنيها الاكتفاء ولا يدركها مجرد الملل .

(5)

جـــيشٌ من الحروف على التلة .. فرسان الكلام على صهوة جيادهم والضجيج لا يُطاق بينما الجمل البليغة تمتشق الرماح .. على التلة المقابلة ثمة جـــيشٌ مـــن الصمت .. جيشٌ يغلق فمه وينتظر .. يتربص بهم .. له دائماً النصر المبين ولهم دائماً الضجيج الذي لا يُطاق !!

(6)

لم يذق حلاوة الصمت إلى أن فارق الحياة .. (ذلك الخطيب المفوه)

(7)

ـــــ لماذا يقدسك البشر ؟

تساءل الفرح والاحتجاج يعصف به :

ـــــ تكلم أيها الحزن .. أريد جواباً .. أنا أكثر مـــنك حضـــوراً وأعلى منك صوتاً وأكثر منك بهجة .. فلماذا يقدسونك وحدك ؟

ـــــ لأنني أكثر منك صمتاً .

قال الحزن ثم سكت إلى آخر الدهر .

موت بائس

كان مظلماً من الداخل ..

مليـــئاً بالدهاليـــز .. حتى أقنعته التي يرتديها كانت كئيبة كدهاليزه الرطبة.. يقولون انه مات .. توفاه الله .. شخصياً لم أحضر الجنازة لكنى لا اعـــتقد انهـــم بذلوا جهداً في دفنه فقد كان مدفوناً منذ زمـــن .. (تسألون أين؟) طبعاً في دهاليزه المظلمة !

الخلاص

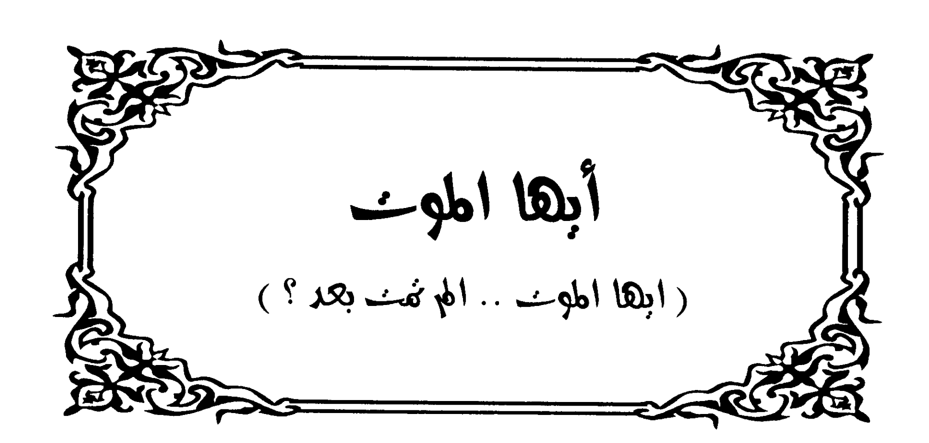
بالـــوحل تلوثت روحي .. بالشكَ امتلأ يقيني .. لكنني الآن أغتسل بالراحة .. شكراً لكِ أيتها الصلاة .

هل ؟

هل تذكرين .. ؟ عندما عبثت بشعرك الريح ؟ هل تذكرين ؟ .. كان ذلـــك قبل أن يرمى بي أولادي الأعزاء في دار العجزة هذه .. لهم كل الحق فقـــد أُصبت بداء النسيان و لم أعد أذكر ذلك اليوم .. عندما عبثت بشعرك ، الريح .

فشل

استيقظت باكراً ذلك الصباح .. كنت أريد أن أبدأ حياةً جديدة لكنى فشـــلت .. أيها القاضى لا تعتب على .. ليس ذنبي إن الصباح لم يستيقظ ذلك اليوم .



أيها الموت

(ايها الموت .. الم تمت بعد ؟)

(1)

عما قريب سينقرض الطيبون .. سيصبحون فصيلةً نادرة .. تمهل أيها الموت !

(2)

مات الرجل ذو اللسان الطويل .. واريناه في باطن الأرض واحكمنا إغلاق تلك الحفرة لكنه لم يتفوه بحرف .. أين لسانه ؟

(3)

كانــت خجــولة .. حتى إن زوجها لم يكن يقبلها إلا في الظلام .. بــالأمس ماتــت ..دفناها في مقبرةٍ مظلمة تغص بالرجال (أيها الموت .. برأيك .. هل أخطأنا في حقها ؟)

(4)

للمــوت صمته الخاص .. سكونه .. سكينته .. خطواته المتسللة .. مذاقــه الفاجع .. طعمه المر .. لا تغضبوا .. له أيضاً بعض الصفات الرائعة لكننا نسيناها تماماً فمنذ مائة سنة لم يمت نذل واحد في بلدتنا!

(5)

تقول الأسطورة القديمة إن حفنة من الأشرار وقعت معاهدة سلام مع الموت .. الشر مقابل الحياة :

ــــ تتــركنا نعيش وسنقدم لك أجساد الطيبين طعاماً شهياً لا تنقصه الفيتامينات ..

وافــق المــوت .. اصــبح قوياً كثور مصارعة واصبح للأشرار عمر نــوح.. إمــا أجســاد الطيــبين فلا زالت إلي اليوم طعاماً شهياً لا تنقصه الفيتامينات!!

(6)

ــــ هنا ينتهي بي العمر .. هنا حدود الموت .

قالت الحياة .

ــــ هنا أبدأ عمراً جديداً .. هنا حدود الموت .

قال الشهيد .

(7)

اليوم قابلت صديقي لكنى لم أحادثه .. ألم يمت بالأمس ؟!

(8)

ـــــ اعتنى بالصغار .. أوصيكِ بهم .

قال لها .

ـــــ وأنت .. هل ستكتفي بالنوم طيلة الوقت ؟

تساءلت :

ـــــ لا .. سأكتفي بالموت فيما تعتنين بالصغار .

أجابها ثم اكتفى بالموت !!

(9)

(وقفــــتَ ومـــا في المـــوت شك لواقفٍ .. كأنك في جفن الردى وهونائمُ)

هذا المتنبي .. كأنه كان يملك البصيرة .

(10)

انتظرتكِ طويلاً .. ماتت نهارات عدة .. مات ألف ليل وماتت قطعان من الأمل .. الآن لم أعد انتظر فقد مات الانتظار .

(11)

الحب أعمى .. والموت كذلك !

(12)

غدر الصديق .. موت .

هجر الحبيب .. موت .

فراق الأهل .. موت .

الكره .. الحقد .. موت .

أيها الموت .. ما اكثرك .. أيها الموت .. ما أقلنا !!

(13)

انظـــروا إلـــيه .. انه ينام بعمق .. كأنه ميت .. أليس الموت أن ننام بعمق ؟!

(14)

وداعـــاً .. الآن فقط فهمت .. عرفت .. الآن فقط وصلت .. أليس الموت أن يفهم العارف انه وصل ؟ .. أليس كذلك ؟!

(15)

بعـــد أن ماتت ألهم الله زوجها الصبر والسلوان .. الى حد أنه تزوج أخرى .. لو أنه مات أولاً كانت ستفعل نفس الشيء .. الموت فعل سكون .. الحياة فعل حركة .. لهذا فقط تبدو الحياة أجمل مهما كانت قبيحة ويظل الموت قبيحاً مهما بلغ من جمال !





سِـــفر الانتظار

(انتظرتك على احر من الجمر .. صار الجمر رماداً فعلى اى حرٍ سانتظرك؟)

(1)

هل تعرفين من أنا ؟

أنـــا الذي يعرف كم نجمة في السماء .. وكم خفقةً في الروح .. لم اتـــزود بعلـــوم الأولـــين .. لم أقرأ حرفاً .. كل ما في الأمر إني انتظرتك طـــويلاً.. أثناء ذلك تشاغلت بالنجوم واعدادها وبالروح وكيف تخفق .. الآن صرت لا افقه شيئاً من ذلك.. عدت جاهلاً كما كنت فلم اعد انتظر أحداً .

(2)

تأخرتِ كثيراً .. حتى إن الانتظار لم يعد يُجدي معك ..

تأخرتِ كثيراً حتى إن حضوركِ اصبح مشكوكاً فيه كأسطورة قديمة..

تأخرتِ كثيراً .. حتى إنني أتساءل الآن .. هل التقيت بكِ يوماً أم أن الأمر لا يعدو كونه حدثاً مشكوكاً في صحته .. تماماً كأية اسطورةٍ قديمة ؟

(3)

تعود العاشق لقاءها ..

صـــارت عادتـــه اليومية .. للمزيد من الصدق .. الأسبوعية .. لنكن اكثـــر تجرداً .. أحياناً لعشرين يوماً أو اكثر .. لكنه تعودها .. لا مانع من المزيد من الصراحة .. صار يرى وجهها في راحة يده .. صار يملأ قلمه من سواد عينيها ويكتب .. ما الفائدة ؟ .. **يقول سفر الانتظار** .. ما الفائدة ..

ما دامت لم تفعل نفس الشيء .. ما دامت لم تتعود لقاءه .. هل تعرفون ما حصل بعد ذلك ؟

يقول السفر :

تعود العاشق فراقها .. وانتهى الأمر !!

(4)

يا لذلك التافه ..

مائـــة سنة عاشها .. استيقظ **36500** مرة .. شاهد عشرات الآلاف مـــن صـــباحات ندية .. رأى ما لا يُحصى من الليالي المقمرة .. ومات بعد ذلـــك .. دُفن في حفرةٍ ضيقة .. بلا صباحات ندية أو ليالٍ مقمرة .. مات دون أن ينتظر حبيبةً واحدة .. لماذا عاش إذاً ؟!

(5)

عندما كانت تدق الثانية عشر كان يفقد الأمل .

تكـــرر ذلك لألف يوم .. ألف مرة دقت الثانية عشر وألف مرة فقد الأمل..

الآن .. ومـــنذ دقيقـــتين فقـــط تكرر الأمر من جديد .. **تتساءلون كـــيف؟**.. انظـــروا إلى ساعاتكم .. أليست الثانية عشر ودقيقتين ؟ ! .. أليست كذلك ؟!

(6)

أنهكه المرض ..

الـــتهم رئته اليسرى فصار يتسول الهواء .. وعبث بأحشائه حتى مزقه الألم وضـــرب ركبتـــيه حتى أعياه الوقوف وقطع حبال صوته فانقطع عن الكلام :

ـــــ كل هذا لم يرهقني .. ما اتعبنى هو الانتظار .

كتب لها ذات مرة .

ـــــ هو إذاً ينتظر الشفاء .. هذا فأل حسن .

كعادتها لم تُحسن قراءة ما يكتب .. فقد كان ينتظر الموت .. وبفارغ الصبر !

(7)

أنا النافذة ..

إذا كـــان لـــديك ثمـــة عمل ضروري فاذهب لإنجازه .. لا تقلق .. سأنتظر مكانك .

صرت احفظ ما تقوم به عن ظهر قلب ..

سأرقب ذلك الممر الواسع ..

انتظر ..

وعندما يمضى الوقت دون أن تحضر .. سألعن الحظ وبعض الظروف الأخرى ثم أغرق في صمتٍ طويل .

لا تقلق إذاً واذهبً بسلام ..

ألم أقل لك ؟ .. أنا النافذة !!

(8)

الغائب يجدك فى انتظاره ..

الميت يجدك فى دموع أهله ..

الوليد يجدك فى حضن امه ..

انا فقط .. من دونهم .. أغيب .. أموت ألف مرة .. أحياناً أولد من جديد ..

لكننى ابداً لا اجدك فى انتظارى مثلهم .

(9)

أنا العفريت الطيب ..

انتظـــرت ألف سنة .. سكنت ابريق الزيت لضيق ذات اليد .. كنت اشرب من دموعى المالحة المذاق واجتر ذكرياتى القديمة بديلاً عن الطعام .

انـــا العفـــريت الـــبالغ الطيبة .. المدقع الفقر .. بعد كل هذه السنين فوجئت بأحدهم يقتحم خلوتى ويوقظنى من لذيذ النوم .. تفاءلت خيراً .. هـــا قد أقبل الرزق .. ربما تتحسن الظروف .. لكنه كان فقيراً مثلى يطلب الاحسان .

هـــو الآن يـــنام معـــى .. نشرب معاً دموعنا المالحة ونجتر الذكريات وننتظر مجدداً أن تتحسن الظروف .

(**10**)

كلما انتظرت أملاً خاب ..

كلما انتظرت حبيباً غاب ..

قصيرةٌ قصتي .. لكنها طويلة الى حدٍ لا يُصدق .

يحكى أن

قيل : ما الحي ؟

قلتُ : اكتمال الهدوء

قيل : ما الميت ؟

قلت : ابتداء اللجوء

قيل : ما الحزن ؟

قلت : اختلاط الدموع بماء الوضوء .

قيل : ما الحب ؟

قلت : اسألوا الثمرة

قبل أن تسألوا الشجرة .

من (كتاب المنفى) للشاعر الربذى

الخطيئة

.. ثمـــرة " الهـــندي ".. أرادت ذات يوم أن تُثبت حسن النية .. فخلعـــت ردائها المليء بالأشواك .. وكما يحدثُ فى العادة لأي أنثى تخلع ملابسها .. تسابق على أكلهـــا الجميع .. بـــمن فيهم الـــهـــنود .

إما له واما لهم

.. مغـــــنٍ رديء الصوت .. أراد أن يُصبح مطـــربـــاً .. منذ بدء الخليقة استنكرت الديناصورات غنائه ففضلت الانقراض .. وأستهجن ســـكان الكهـــوف صـــوته .. فتركوها له ونزلوا إلى السهول .. عند ذاك اكتشفوا نعمة الزراعة .. واحتفالاً بهذه المناسبة أقاموا حفـــلاً فنيـــاً ساهراً فأنتهـــز الفرصـــة ومارس هوايته .. فترك الجميع حرفة الزراعة واتجهوا إلى الصـــناعة حـــتى وصلوا بفضلها إلى القمر .. هم الآن يبحثون ــــ وبحماس منقطع النظير ــــ عن كوكب ملائم .. أما له .. وأما لـــهم .

الشريكان

جـــبلٌ راسخ الأقدام .. عثر ذات يومٍ على قنديل الزيت المشهور .. فرك القنديل .. انطلق المارد من جوفه وعرض خدماته كالعادة ..

شاهدت السحابة التي تُجلل رأس الجبل كل شيء فأصرت على مبدأ المشاركة .. طلب الجبل أن يصير سحابةً مُثقلة بالمطر .. وتمنت السحابة أن تصير جبـــلاً .

صباح اليوم التالي مات البشر .. فقد أمطرت السماء حجارةً سوداء.. وغمر الأرض الفيضان .



أساطير الزمن الرديء



اسطورة الميلاد

ذات لـــيلة صرخت زوجة الفقير .. تأوهت .. ثم نامت قريرة العين هانئة البال .. وتناسى الفقير فقره حتى مطلع الصباح .

ذات ليلة أخرى .. صرخت الزوجة .. تألمت .. ثم أنجبت فقيراً صغير الحجـــم .. مُفلســـــاً بالـــوراثـــة .. وظل الفقير الأكبر يبكى حتى مطلع الروح.

اسطورة الكنز

عثـــرت الأرض علـــى كنـــزٍ فى جوفـــها ..كتمت السر .. كانت تســـتيقظ قبل الفجر لتُحصى القطع الذهبية الوهاجة .. تطمئن عليها وتنام بعد ذلك النهار كله.

لـــصٌ محتـــرف .. مات من التُخمة فدُفن فى باطن الأرض .. راود الأرض عـــن نفســـــها .. فـــرش لـــها الوعود وأقسم أنه ينتمي إليـــها فباحت له بالسر .

بعـــد أســـبوع كان الناس يتحدثون عن معجزة جديدة .. فقد خرج المـــيت من قبره .. يرتدى الحرير ويتحلى بالذهب .. ويترحم ليل نهار على الأرض التي ماتت .

اسطورة الروح السابعة

.. حلم " مستور " انه يملك سبعة أرواح .. قارئة فنجان لـــها وجه ساحرة ومخالب ذئب أكدت له ذلك :

ــ أنت محظوظ .. أنت تختلف عن باقي البشر .

غادرته العجوز أول الليل .. لكنها عادت قبل أن يستفيق قائلةً له :

ــ لا تنس ..أنت صاحب سبعة أرواح .

ثم تركته بلا رجعة .

.. نهض " مستور " من نومه .

تفقـــد يديـــه وعينيه وأذنيه فوجد كل شيء كما هو قبل أن ينام .. فحمد الله وأثنى عليه .

تفقد زوجته فاطمأن على شرفه .. تفقد أطفاله فبكى بحرقة .. خرج إلى الشارع فصاح به رجالٌ متجهمو الملامح :

ــ احترس .. نحن نزرع الألغام هذه الأيام .

تفحـــص وجوهـــهم .. عرف من بينـــهم أصدقاء له .. أدار محرك سيارته فانفجرت :

ــ ألم نحذرك ؟.. ها قد فقدت إحدى أرواحك .

صاح به أحدهم .. ذهب إلى عمله مشيـــاً .. اجتاز عشرات الألغام .. فـــتح بـــاب مكتبه فأنفجر بوجهه لُغمٌ آخر .. من جديد صاح به أحد الأصدقاء :

ــ ها قد أصبحت مشوه الوجه .. وبخمسة أرواحٍ فقط.

انكب على عمله .. إثناء ذلك استقبل زائـــراً .. أحد زملاء المهنة .. ابتسامته عريضة .. ووجهه يضحك والصدق مرسوم بعناية على قسماته .. مد يده للسلام لكن لغمـــاً انفجر .. صرخ والألم يمزقه .. فعاد الصوت من جديد :

ـــ روحٌ أخرى .. يبدو انك لا تتعلم .

استقبل صديقته .. رقص قلبه فرحـــاً :

ـــ سأشكو لكِ همومي .

قال لــــها .. لكنها قدمت له وردة حمراء .. انفجرت بوجهه المشوه .

غادر مقر عمله .. صادفه أحد المارة .. بدأه بالسلام .. فقذفه الرجل بلغمٍ جديد انفجر فى صدره فتناثر لحمه على رصيف الشارع .. لملم بقاياه وواصل طريقه .. مر على متسول أعمى يمد يده للناس .. أعطاه شيئـــاً .. قطعة من كبده .. التهمـــها المتسول بشراهة وأعطاه كرة صغيرة :

ـــ إنها دعوة صالحة .

قال له .. لكنها لم تكن كذلك .. كانت لُغمـــاً آخر انفجر بين يديه وسط قهقهة المتسول اللئيم .

ـــ لم تبق لي سوى روح واحدة .

صـــاح بهلـــع .. أسرع إلى منزله .. فتحت زوجته الباب .. صاحت والـــرعب يملـــؤها .. انتبه إلى مظهره .. كان مسخـــاً حقيقيـــاً بفعل ما انفجر به من ألغام .. أسرع إلى غرفته.. أغلقها بإحكام وأندس فى فراشه .. تغطى جيداً ونام إلى آخر العمر.

المقايضة

.. لم يــبق للجمل المُنــهك سوى القليل من الصبر ليتحــمل قسوة الصحراء :

ـــ أوشــكُ أن أموت عطشــاً .. لكن سمعتي لا تســمحُ لي .. أيتها الصحراء .. إذا كان لابد من الموت عطشــاً فاجعليني جواداً أصيــلاً .. لا أقبل بأقل من ذلك .

تكــبرت الصــحراء .. ســكبت جحيمــها الوهاج فى رأس الجمل المُـنــهك وأرسلت حبات رملــها الملتهبة نذيــراً بالــهلاك .. لكنــها أبرمت اتفاقــها مع ضحيتــها ..

مــات الجمــل .. قتله العطش .. وإلى الآن لازال أصحاب القوافل العابــرة يتحدثون عن ذلك الجواد المُذهل الحسن .. الذي وجدوه ميتــاً فى قلــب الصحراء ..وإلى الآن لازالت الصحراء تمتهن قتل الجياد الأصيلة فيما تتحلى الجمال بالصبر .

أسطورة الجوع

جـــاع الفقـــير .. نـــهشه الألم .. استبد به الجوع .. عند ذاك اتخذ القرار الصعب .. أن يمد يده .. أن يسرق .. قبل أن يفعل ذلك اتجه إلى دار الـــثقافة .. قرأ كتـــاباً يقول أن حد السرقة قد أُبطل ذات يوم لضيق ذات الـــيد عـــندما هجمت المجاعة على الناس .. قال الكتاب .. سرق أحدهم رغـــيف خبز .. وعندما قبض عليه العسس قرر القاضي أن لا يقطع يده .. واصـــل الكتاب حديثه .. التهم السارق الجائع رغيف الخبز وشكر القاضي وشكر الحضور .. وانصرف يعد أصابعه العشر آمنـــاً مطمئنـــاً .. إلى هذا الحد سكتت سطور الكتاب .. وعند هذا الحد اتخذ الفقير قراره .

سرق رغيفـــاً .. أخفاه بعناية وأتجه إلى بيته ليطعم أطفاله الجائعين .. لكـــن الشرطة ألقت القبض عليه وسيق كالشاة إلى المحكمة بعد أن أكل من الضرب ما يغنيه عن كل طعام .. هناك نـــهره القاضي .. واتهمه بتخريب الاقتصاد الوطني .. وزعزعة الاستقرار السياسي .. وطالب الإدعاء بأقصى العقـــوبات .. وســـكت المحامى والعرق يغسل جبينه .. وأصدرت العدالة حكمـــها بسجنه مدى الحياة .

.. هـــناك .. فى دار الثقافة وعلى أحد الرفوف المُتربة كان الكتاب يشعر ببعض الخجل.

.. ومـــرت حـــياته الأولى .. انقضت وهو في السجن .. وأثناء ذلك مـــات القاضـــي والإدعاء وكذلك محاميه المتخاذل وعندما خرج إلى حياته الجديـــدة كان قد تعلم الكثير .. وبعد عامٍ واحد كان قد أصبح من وجهاء

الـــبلد وأحد وجوهـــها المضيئة .. لم يكن ذلك لُغزاً مُستعصيـــاً على الحل .. فقد سرق مخبـــزاً كاملاً بدلاً من مجرد رغيف .

هـــناك .. في دار الثقافة تلك .. وعلى أحد رفوفهـــا المُتربة .. كان ذلك الكتاب حائراً إلى درجه الدهشة .. عاجزاً حتى عن مجرد الفهم .

الأرنب الطيب

حتى عندما تجوع .. الأرانب لا تنسى خوفها لذلك نادراً ما تفقد حياتها .. تصلح هذه القاعدة للتعميم رغم الاستثناء الوحيد المتعلق بذلك الأرنب الطيب القلب الذي التقى وبمحض الصدفة تمساحاً طيب القلب مثله كان يبكي لبعض الظروف العائلية .. كان الأرنب الطيب قد سمع الكثير عن دموع التماسيح .. وكان التمساح قد سمع الكثير عن المذاق الشهي للحوم الأرانب الطيبة .. لذلك كانت الرؤية بالغة الوضوح لكليهما .. امتنع الأرنب عن الشرب من النهر رغم العطش .. وظل التمساح يذرف الدمع لأسبابه الخاصة .. اشتد العطش بالأرنب فطلب من غريمه أن يتوقف قليلاً عن البكاء حتى يمكنه الشرب :

ـ لا تخدعني بدموع التماسيح .

قال الأرنب .. لكن التمساح شرح له الأمر :

ـ أقسم لك أيها الطيب إنها دموع حقيقية .. أنا تمساحٌ شريف .. صدقني .

صدق الأرنب .. فأكله التمساح .. يحدث هذا كثيراً فى عالم التماسيح الحزينة والأرانب الطيبة المذاق .



أسطورة الموت

.. (**خرّابـــة الغلا ساعة أطلوع الروح .. يا ويلهـــم !!**)*

بعد أن أكمل عجز البيت رمته بالسؤال :

ــ ولماذا هي خرابة ؟.. من الذي خربهـــا ؟..

أجاب بنفاذ صبر مزيف :

ـــــ ليست خرابة .. عليكِ أن تلاحظي الشَدة على حـــرف الراء .. خرّابة .. يعنى هم من يقومون بتخريب قصص الحب أي إفسادها .. هؤلاء حسب ما يقول الشاعر .. يا ويلهـــم .يعنى الويل لهـــم .. هل وصل المعنى ؟..

وصـــل الشاي وما وصل المعنى .. شرباه معـــاً .. مدت يداً كالضياء وأزاحت بعضـــاً من خصلات شعرها اللامع .. وإليه .. إليه فقط من دون البشر صوبت عينان من جنة ونار .. رشفةٌ واحدة ثم انتظم عقد الكلام :

ــ وماذا عن (طلوع الروح) ؟

ـــــ بهـــذا القدر من الجمال ولا تفهمين معنى (اطلوع الـــروح) .. الروح .. الروح عندما تطلع .. عندما تُغادر الجسد لا تغادره بســـــهولة .. يُقال أنـــها تتشبث بالحياة .. تتمسك بالبدن .. هل تعرفين لمـــاذا .. لأنهـــا تعودت عليه .. العادة تُكسب الأُلفة .. أنا مثلاً .. اعتدتُ

---

* بيت مشهور للشاعر الشعبي الليبي (مراد)

عليك لذلك عندما يحدث ذات يومٍ أسود أن تفارقيني سيكون هو اليوم الذي تطلع فيه الروح .. هل فهمتي الآن ؟

ابتســـمت فتلون المكان بألوان قوس قزح .. فهمت الألوان .. ابتسم قـــزح وقوس قزح لمجرد ابتسامتـــها .. ومضى الزمن .. مضى كعادته دون أن يُخبر أحداً .

كانـــت إلى جانبه .. تُمسك بيده .. يده الباردة كالثلج .. وتبكى .. كـــان ينظر إلى شيءٍ ما فى السقف .. مُنهمـــكاً فى مُهمة صعبة .. روحه الـــتي حان موعد رحيلـــها .. يشهق .. ترتفع إلى وجهه المُسالم .. تتأهب للخروج .. ربما من فمه أو أنفه أو عينيه .. لا أحد يدرى .. لكنـــها تعود مـــن جديد .. تعود إلى الجسد .. تودعه .. تضمه إلى روحـــها .. وتصعد مرة أخرى .. فيشهق من جديد .

علـــى جبينه وضعت يدها .. تلك التي كانت كالضياء .. أخبرتـــها برودة الجبين انه سيموت .. اقتربت منه أكثر .. وقبل أن تغادرها الحروف .. كانت الروح قد غادرت .. لم يعد ينظر إلى السقف .. لم يعد ينظر إلى أحد فيما كان صوته يتردد فى أرجاء روحـــها الخربة :

ـــ هل فهمتي الآن ؟ ..

القاتل

قاتـــلٌ مأجور .. لمع نجمه وعمت شهرته الآفاق .. كان يقتل الرجل الـــبالغ بمائة دولار .. والطفل بخمسين .. الشيوخ كان يقتلهم بالمجان لكبر ســـنــــهم .. وتقديــــراً للنساء الجميلات كان لا يتقاضى أقل من ثلاثمائة دولار على الرأس الواحدة ..

قـــتل الكثير .. فى الصباح .. وأثناء سطوة الظهيرة .. وساعة يسدل الليل سواده .. كان يعرف جيداً كيف يقتل .. لكنه لم يعرف يومـــاً لماذا:

ـــ لعل هذا هو سر نجاحي .

قال للمذيعة المنشغلة بتسريحة شعرها إثناء إحدى اللقاءات :

ـــ ولكن كيف توفق بين عملك ودراستك ؟

سألته المذيعة .. وعندما أجابها بأن التوفيق من عند الله دعت له بالمزيد مـــنه .. المشـــاهدون كـــذلك رفعوا أيديهم المرتعشة يطلبون له التوفيق .. استجاب الله لطلب الأغلبية ومنحه التوفيق .

تلك الليلة مات المشاهدون .. ونامت المذيعة بين ذراعي ضيفـــها .. فى الصـــباح استيقظ القاتل المأجور وخرج إلى الناس ليواصل عمله ودراسته بفضل دعواتهم وتوفيق الله .



أسطورة الوطن المفدى

ـــــ يفخر المجتمع بأفراده الطيبين .. العقلاء .. وتفخر البلاد بمن يحبونـــها .

قال المدرس لتلاميذه .. لكن أحدهم رفع يده بالسؤال :

ــ وكيف تعرف البلاد من يحبونـــها ؟

تنحنح المدرس .. ثبّت نظارته الطبية .. وأجاب بكل ثقة :

ـــــ هذا أمر سهل .. من يحب بلده هو من يعمل لأجلها .. ومن لا يحبـــها هو من يتكلم لأجلها.

ــ ولكن لماذا لا تُحب البلد من يحبونـــها ؟

سأل أحد التلاميذ أستاذه فأجاب :

ـــــ هــذا غــير صــحيح .. إياكم والظن السيئ بالوطن.. إذا فقدتم الثقة بأرضكم فقد فقدتم كل شيء .. قلب الوطن مثل قلب الأم .. بحجم الدنيا كلهـــا .. قد نخون الوطن .. قد نطعنه فى ظهره.. قد نرحل عنه دون حتى كلمة وداع .. قد نستبدله بحقيبة سفر .. لكنه يبقى دائـــمـــاً وفيـــاً لنا ..

ونبقى دائمـــاً نحملـــه فى حدقات عيوننا .. ولكن .. لماذا قلتم هذا الكلام السيئ عن الوطن ؟

ــ لأنك فقير .. أنت تحب الوطن ولكنه بخيل معك إلى أبعـــد الحدود .. أنت تعمل لأجله ولا تكتفي بمجرد الكلام .. ولكنك

فقـــير إلى درجـــة لا تُصدق .. أنت مثال سيئ لنا .. هل تريدنا أن نعيش معدمين لا نملك ما يستر عوراتنا ؟

قـــال التلاميذ في وقت واحد .. جحظت عيونـــهم ونبتت لأيديهم الغضة مخالب طويلة .. صاروا وحوشـــاً صغيرة شرسة الطباع .. مزقوا لحم معلمـــــهم بأنيابهم القاطعة .. وعندمـــا انطلق الجرس يعلن نـــهاية الدرس كان المدرس قد اختفى .. صار قطعـــاً من اللحم الطري فى بطون تلاميذه الجائعين .. خارج المدرسة كان الوطن يبكى بمرارة ويطلب الرحمة للجميع.

أسطورة المطر

قال الحكيم :

ذات يــوم تنادت السحب .. تجمعت .. مدت أياديها البيضاء بلون القطن وتشابكت أصابعها الرخوة وقطعت على أنفسها عهداً :

ــ أن نمتنع عن المطر حتى يموت البشر .. البشر الذين افسدوا الأرض .. الأرض التي نرويها من أحشاءنا .. التي نموت نحن لتحيا ..

أضاف الحكيم :

وهكــذا كــان .. امتنع المطر .. صار حلماً بعيد المنال .. وتشققت الأرض .. مزقها العطش بأظافره ومن أحشائها أخرج الصحراء .

.. فى السماء كانت السحب تشعر بالملل وتذرع الفضاء الفسيح دون عمل وتواصل الإضراب إلى أن جاء ذلك اليوم .

.. هدهــدٌ مثابــر لم يزل يحترف مهنة المراسل الحربي منذ أيام النبي سليمان وصل حاملاً النبأ :

ــ حدث خطأ رهيب .. البشر الطيبون وحدهم الذين ماتوا أيها السـحاب الفـاتن .. الأشـرار وجـدوا طريقةً للعيش ..صارت الأرض بوجودهم أكثر فساداً.

مجـدداً تـنادت السحب .. عقدت اجتماعاً طارئاً .. قررت النزول لمعـرفة المـزيد .. كان المشهد مرعباً الى حدٍ لا يُصدق .. البشر الأشرار يأكلون كل شئ ويشربون دماء الطيبين ليواصلوا العيش .

شعرت السحب بالخجل . عادت إلى عليائها والندم يلوكها كما يفعل الجائع بقطعة خبز .. يقول الحكيم :

ذلك اليوم عرفت السحب معنى الخجل وقررت أخيراً إنهاء إضرابها .. إلا إن دماء الطيبين ظلت مشروباً مفضلاً إلى هذه الساعة.

اسطورة الحكيم

قال لى الحكيم :

مـــنذ دهرٍ بعيد .. قبل ان تولد .. خُلقت ألف غابة وغابة .. وخلق ألف ديناصور وديناصور .. وخلق الانسان .

وعندها ولدت ألف ليلة وليلة ومات ألف انسان وانسان .

قلت للحكيم :

كل هذا الصخب كان قبل أن أولد ؟

ولكـــن الى متى ستدور الدائرة على هذا الشكل .. ألن يتعب التعب ؟ ألن يتثاءب الملل ؟

أراد الحكيم أن يباغتنى بالجواب لكن جواباً آخر باغته ..

مات الحكيم ..

ومات معه ألف جواب وجواب .

أسطورة الجبل الأسود

تثاءب الجبل والملل يقتله :

ـــــ صرتُ عتيقاً أبعث على السأم .. كثرت مغـــاورى ونبـــتت لي كهوف كثيرة حتى أصبحتُ مخبأً للصوص .. وهذه الشجيرات التي لا شأن لها .. تطاولت وزرعت جذورها في جوفى .. أنا .. الصخر الصلد .. أصبحتُ مهترئاً سهل الاختراق كقطعة جبن .. فلا نامت أعين الجبناء .

أقبل الليل كعادته ..

أســـدل ملاءته السوداء على الجبل لكن هذا الأخيركان ضحية لأرقٍ بالغ السطوة :

ـــــــ اجعلني أسوداً على الدوام .. هكذا تموت الشجيرات ولا يراني البشر .

وافق الليل ..

ترك ملاءته مسدلة على بدن الجبلِ وغادر المكان .. لكن دليلاً سياحياً مثابـــراً اكتشف الأمر فصار الجبل مزاراً للسياح من كل بلد يتجولون عبر دروبه ويعودون بصخرةٍ سوداء على سبيل الذكرى .

تاجر حاذق اقترحً فكرة جديدة ..

صاروا يبيعون صخوره السوداء النادرة وبمختلف الأحجام ..

اصـــبح الجـــبل المنيع سابقاً شواهداً أنيقة على قبور أثرياء ماتوا من الـــتخمة .. وتحفــاً تأخذ بالألباب على مكاتب رجال الأعمال .. وهدايا

ســـريعة المفعول لكبار المسئولين .. ودرباً مؤدياً إلى قلوب العاهرات ثم إلى أفخاذهن كما جرت العادة .

وهكذا تآكل الجبل .. تقول الأسطورة .. تناقص .. كان الندم يأكل مـــن جسده صخرة أو صخرتين كل وجبة .. وكانت القوافل تتاجر بلحمه الحي كل مطلع شمس .. حتى انه استنجد بالريح في نهاية المطاف :

ــــ سأبعثكِ رسولاً .. قولي لذلك الليل أن يعود .. أن يسترد عباءته السوداء .. لا تتأخري .. أنا بالانتظار .

وتأخـــرت الريح .. تسكعت طويلاً .. غازلت ضفائر البنات ولعبت مع صبيان المدارس وتلاعبت بالسفن في عرض البحر قبل أن تخبر الليل بكل شئ .

وتأخر الليل ..

أنجـــز بعـــض الأعمال الضرورية .. وانتظر حتى انتهى العشاق من مواعـــيدهم .. والخـــونة مـــن حبك مؤامراتهم .. ومعدومو الضمير من الاستغراق في أحلامهم

الوردية .. ثم أسرع إلى حيث ذلك الجبل .. مد يده الغارقة في السواد ونـــزع عـــن الجسد الحجرى عباءته المظلمة .. لكنه لم يجد سوى كومة متواضـــعة من الأحجار التي فارقت الحياة لتوها .. مات الجبل .. وبخشوع اعـــتاد علـــيه أسدل الليل ملاءته من جديد على الجثة المأسوف عليها وعاد أدراجه متثائباً يقتله الملل.

اسطورة العام الجديد

ولد العام الجديد ..

صرخ كأي طفلٍ يرى النور للمرة الأولى فرق له قلب القمر :

ـــــ سأُرضعك حتى تكبر .

لسعه البرد فصرخ مجدداً لكن الشمس تدخلت :

ـــــ إليك بعض الدفء .. إن لي قلباً على أي حال.

داعبته الريح وغنت له الطيورٍ .. وعندما أساء له العطش تبرعت السحب بالمطر السخي .. صار يافعاً جميل الصورة :

ـــــ الآن ستقابل البشر .. ستعيش معهم.. تولد في السماء وتموت في الأرض .. هذا قدرك .

قالت له الدنيا وانصرفت دون وداع .

نزل من عليائه ..

تجول في دروب الأرض .. أساء إليه غبار الأزقة ولوث دخان المصانع رئتيه .. كانت الحروب المتتالية تحرق كل يوم قطعة منه فيما كان الخونة يبيعون أعضاءه لهواة الآثار النادرة .. والفاسدون يزنون به لمجرد المتعةٍ .. والتجار يقايضون به السلع النادرة .. والسفلة يشهدون ضده زوراً فى المحاكم الشرعية وأنصاف المثقفين يغتابونه في الصحف الرديئة .. والجزارون يذبحونه على مهل .

عاد للصراخ ..

مجدداً عاد يصرخ .. لكن أحداً لم يسمعه ..

حتى هذه اللحظة لا زال يصرخ ويموت بعضاً منه كل يوم بينما يغزو الشيب رأسه ويأكل الصدأ صدره ويلوث دخان المصانع رئتيه .

اسطورة العاهرة

استيقظت العاهرة ..

داعبتها خيوط الشمس وهمست لها بشيء :

ـــــ هذا يوم جديد .. هيا .. تجملي .. املأى عينيك كحلاً ولـــونى شفتيك بالأحمر الفاقع واكشفى جسدك بقدر ما يسمح به القانون وابدأى العمل .

وبدأ العمل ..

كانت تبيع جسدها حسب الطلب ..

عـــداً ونقداً لأصحاب الحوانيت والمخابز وتجار الجملة .. وبالتقسيط المـــريح للموظفين ومحدودى الدخل .. وبالدين لطلاب المدارس .. وتحت جنح الظلام

للمتبحـــرين بأمـــور الـــدين .. وبعيداً عن الرأي العام للمسئولين .. وبالكثير من الرأفة لأولياء الأمور .

كان جسدها متهتكاً بلا حدود لكنها كانت تملك قلباً من ذهب .. كان لها جسد عاهرة وقلب قديس .. بعد أن يغادر آخر الذئاب .. كانت تغتسل .. وتفتح تلك الخزانة العتيقة .. ترتدى ذلك الثوب .. ثوبها القديم.. ثم تفـــتح شـــباكها للـــيل .. تدعوه للدخول .. تستقبله على حافة الشباك وتسند رأسها المُتعب على سواده وتبكى :

ـــــ هل تذكرين ؟

يقول لها :

ـــــــ كنت طاهرة كالثلج ..كانت أصابع أبيك تملأ جيوبك بالحلـــوى وصـــدر أمك يملأك بالدفء .. كنت تلعبين هنا وتملئين سكوني بالفوضـــى.. لم اعـــرف طعم الراحة إلا عندما أكلتك الذئاب .. عندها استرحت .. فقد اصبحت تنامين بعمق .. ينهكك العمل .. أليس كذلك؟

لم تكـــن ترد بشئ .. تبكى فقط .. لكن قلبها كان يكبر بلا حدود حتى يصبح بحجم الدنيا .. ذات يوم وقع المحظور :

ـــــ سأبحث عن جسد آخر .

قال لها بينما كانت تتهيأ لحضنٍ جديد :

ـــــ هذا ليس وقتاً مناسباً .. بعد أن انتهى سنتكلم معاً .

قالـــت له العاهرة .. فيما انهمكت في واجبها اليومي .. كانت تعمل بـــإخلاص يفتقر إليه عمال المصانع ولا يدعيه موظفو الدوائر الحكومية .. لكن ذلك القلب تكلم من جديد :

ـــــــ انتظرت طويلاً .. لا الذئاب تشبع من اللحم ولا اللحم يملك انياباً كالذئاب .. لذلك سأرحل .

قالهـــا ومضى .. صرخت وراءه .. تكلمت .. لكن شيئاً لم يحدث .. عـــند مطلـــع الشـــمس كانت الخيوط الذهبية تداعبها .. تطلب منها يوماً جديداً كالعادة .. لكنها كانت قد ماتت .. انتحرت كما يحدث فى الأفلام الـــرديئة .. هـــذا لا يهـــم .. تقول الأسطورة .. ما دام هناك المزيد من الأجساد وما دامت الذئاب لا تشبع من اللحم .

اسطورة الأساطير ! !

علـــى جـــدار كهف موغل فى الظلمة والغموض معاً كُتبت حكاية .. لم يصـــدقها البشر وامعاناً في حسن الذوق منحوها اسماً لائقاً بعض الشيء .. قالوا إنها اسطورة .. قالوا أيضاً إن القرد المتطور الذي كتبها ذات يوم لم يكن مدعياً ولا من هواة الكذب لكنه كان يحلق في فضاء الخيال بعض الشيء ..

ـــ ربما انهكته مطاردة ديناصور شقى فلجأ الى هذا الكهف وحدث ما حدث .

قال أحدهم :

ـــــ ولماذا لا يكون عاشقاً ؟ .. العشاق وحدهم يتقنون كتابة الأساطير .

اقترح آخر :

ـــــ لـــنغلق هذا الملف .. انه مجرد قرد سئ الخلق يلوث الجدران بالفحم .

رحل الجميع .. تركوا خلفهم اسطورة نُحتت على جدار كهف .. ومضى الـــزمن .. ومات البشر .. كلهم .. بعضهم مات بالبرد والآخر بالغباء .. هناك مـــن قـــتله الـــتفكير .. وهناك من مات بالذل .. أو سقط من شاهق أو ابتلعه البحـــر.. أو ضيعته الصحراء .. هناك ايضاً من افترسه نمر جائع أو استباح لحمه بشرٌ لا ضمير لهم ماتوا جميعهم ..

تلـــك الليلة فقط نامت الدنيا كما ينام طفل هده التعب .. متوسدة ذلك الكهف القديم .. بيدها قطعة من فحم وعلى الجدار اسطورة لم تكتمل.

الموت مرتين

مات الفقير الذى شبع شرفاً وعفة ..

أقـــبل المشـــيعون .. يمشون بخطىً وئيدة ويحملونه على أكتافهم كما جـــرت العـــادة .. التهمته حفرة الأرض وغطته ألواح الإسمنت .. تركوه ومضـــوا .. بعضـــهم انـــتهك حرمة بيته .. أحدهم غازل زوجته .. آخر اضـــطهد أطفاله .. في قبره تنهد الرجل .. أراد أن يبكى لكنه تذكر موته (الموتى لا يبكون) قال له القبر .. الموتى فقط يموتون مرتين .. امتثل الميت للأمر ومات مجدداً فيما كان بعضهم يضطهد أطفاله والآخر يغازل زوجته .

المُجامل

ـــــ معظم النار من مُستصغر الشرر .. الواقع إن الحدث البســيط .. اللقطــة السهلة .. تصنع عادةً اكبر المشاكل ويبدو إنني تورطت الآن.

تلاعبت به الظنون ..

عاملـــه الشـــك ككرةٍ من مطاط .. قذفه هنا وهناك .. ضرب به مائة حائط وحائط حتى تورمت جبهته :

ــ الآن .. نريد حسماً لهذا الموضوع .

كان يسير متمهلاً كعادته ..

يطفـــح وجهه بالهدوء ويشتعل رأسه بألف خاطرة .. وكالطيف تسرب إلي ذلك الزقاق المُظلم كطريقٍ مختصر إلى الشارع المقابل :

ـــــ من حسن الطالع أن يعثر المرء على طريق مختصر فالوقت ثمـــين .. ولكن أية قيمة للوقت ؟ .. كان من الأفضل أن لا أتورط في زقاقٍ مُتـــرب وقـــذر كهذا .. ولو إن للأزقة المظلمة سحرها الخاص .. إنها ملاذ العشـــاق والشعراء .. ولكنها تستقبل ايضاً السفلة وقطاع الطرق .. ربما كان عليَّ أن ابتعد عن هذا الدرب .. لكن الاختصار مفيد وضروري .. في الواقع يصعب الحكم على مسألة كهذه .

هكذا بدأت المسألة ..

بدايـــة مســـتهلكة .. قديمة كأية خرقةٍ بالية .. بابٌ يُفتحُ بلا مقدمات وبنتٌ كالبدر الطالع لتوه من وراء غيمةٍ كئيبة تسكبُ ماءً آسناً من دلو قذر على أرض الزقاق في نفس اللحظة التي اختارها جنى أنهكه التجوال بين قارات العالم فاستلقى على ذرة غبار تلاعب بها الهواء حتى قاده إلى أسوأ ما يمكن أن يحدث لجنى مكتمل الهيبة نافذ السطوة مثله:

ــ ماءٌ قذر ؟! .. وعلى من ؟! ابن ملك ملوك الجن .. لا نامت أعين الجبناء !

دمدم الجني .. أحس بالإهانة .. عصف به الاستياء ولبرهة شعر إن شرف قبيلةٍ كاملة من الجن النقي السلالة قد لوثه ماء قذر من دلو لا يقل قذارة .

ـــــ سأتزوجك .. الآن .. سأجعلك زوجتي السابعة والسبعين .. واحتقاراً لك لن انجب منك أولاداً .. ولن يكون لك بيت خاص بك كباقي نسائي .. هذا هو العقاب .

طلـــبت البـــنت عوناً من أحد .. أي أحد .. من عابر بمحض الصدفة فكان هو العابر .. وكانت أضلاعه ترتجف كورقةٍ في مهب الريح :

ـــــ الحقيقة انك متسرع قليلاً .. اقصد .. لقد أخطأت الفتاة بحقـــك .. لا يجـــوز أن نرمـــى أبناء الملوك بمياه الدلاء القذرة .. ولكن .. فلتسمح لي .. ربما لا يليق بجني مرموق مثلك أن ينام في عرض الشارع .. ولكـــن .. لعلها أزمة السكن .. أنا أيضاً أعاني .. سأتزوج قريباً ومشكلتي السكن .

أسكته الجني ..

استبد به الغضب واستطال وجهه حتى استحال خيطاً رفيعاً فزاد ذلك من بشاعة مظهره :

ـــــ الفـــتاة تـــريد منك حلاً .. وأنا أنتظر الجواب .. وأنت تتحدث عن أزمة السكن .. لقد بدأت أستاء منك أيها البشرى المجامل .

فقـــد اتـــزانه لبرهة .. مد يده وتلمس رأسه .. فعل ذلك مرات عديدة بينما كانت آلاف الخواطر تعصف به :

ـ هذا صحيح .. في الواقع لا يبدو الحديث عن أزمة السكن لائقـــاً .. الواقـــع انك محقٌ بعض الشيء .. وهذه الفتاة في الحقيقة مخطئةٌ قلـــيلاً.. لا أحد يرمى المياه في عرض الشارع .. أليس الأمر كذلك سيدي الجني المحترم؟

صاحت البنت .. أمسكت بمعطفه الباهت اللون والدموع تفر من عينيها :

ـــــ أنت أملى الأخير .. انه مجرد جنى غريب الطباع .. هذا زقاقنا .. وهذا بيتى الذي عشت فيه .. إنها حياتي التي تخصني وهو الدخيل عنها .. كيف تريدني أن أرى كائناً ينام على وسادةٍ من غبار؟ .. أرجوك .. سأكون ضحيته إذا لم تتدخل .. اتخذ موقفاً .. هيا.. أنا بالانتظار .

أحس بالإحراج وانهمر العرق يغسل جبهته العريضة :

ـــــ هـــذا صـــحيح .. أنت محقة قليلاً .. أليس كذلك أيها الاستاذ.. أقصد أيها العفريت ؟ ..

انه شارعها وهى بالطبع لم تقصد .. أليس كذلك ؟ .. ربما تقصد .. أقول ربمـــا .. ولكن تستطيع أن تغفر لها .. للجن عقولاً راجحة بعض الشيء .. أقصد إنكما محقان تماماً .. صحيح إن المياه قذرة .. في الواقع لماذا تنام أنت أمـــام بيوت الناس .. هذا سؤال آخر .. ولكنك محق أيضاً .. أنت متعب بعض الشيء ومن حقك أن تنام أليس كذلك ؟ .. ثم إن ذرات الغبار تبدو مريحة قليلاً .. هي مريحة .. أليست كذلك أيها الجني البهي المنظر ؟

سمع الكثير من الإطراء ..

تملـــق له الكثيرون .. ونافقه عدد لا يُحصى من البشر والجن على حد ســـواء .. امتدحه فلاسفة الإغريق وتواضع له أباطرة الرومان وقبلهم غازله فـــراعنة مصر .. نظم له شعراء الجن أجود القصائد وأكثرها كذباً وتبجحاً .. لكـــن أحداً من هؤلاء لم يجرؤ يوماً على التطرق لمسألة جمال الشكل أو روعة التقاســـيم والملامـــح أو ملاحة الوجه .. لسببٍ لا يخفى على كل من طالع صورته والتقى به .. فلم يكن إلا النسخة الأصلية للبشاعة مجسمةً تتجول كل يومٍ بين قارات الدنيا وترتاح آخر النهار على أول ذرة غبار تصادفها .. لذلك .. لهذا السبب بالذات .. وعندما سمع للمرة الأولى في حياته العامرة من يطرى جمالـــه المـــزعوم قرر أمراً لا رجعة فيه .. وفى لمح البصر كانت البنت الرائعة الجمال قد نالت عفواً غير مشروط فيما كان البشرى صاحب المجاملة الكبرى في تـــاريخ الجـــن يتحول إلى وسادةٍ وثيرة من غبار يمتطيها جنى هائل البشاعة ويدفعها الهواء العابر إلى حيث تشاء لها الصدف .

لجنة تفتيش

لجنة تفتيش .. الوجوه صارمة والتقاطيع حادة لا قلب لها .. وربطات العـــنق علـــى أحســـن مـــا يكون .. إما ألوان المعاطف فرمادية لا توحي بالبهجة..

لجـــنة تفتـــيش .. لا ابتســـامات .. لا وجوه تنطق بالقليل من سعة الصدر .. ولا صدور تتسع لبعض ما تتسع له الصدور ..

لجـــنة تفتـــيش .. حيث الأوامر والنواهي .. حيث القبول يولد من الوجوه الصامتة والطاعة ترتسم وشماً على الجباه ..

لجنة تفتيش .. نطق مدير الدائرة بالكلمة المهيبة فارتجت الدنيا وطار الصواب وسكن المضطرم وتحرك الراكد .. فُتحت الأدراج المغلقة وأُغلقت أخرى .. واختفت ملفات وظهرت إلى حيز وجودنا ملفات غيرها .

لجنة تفتيش .. حيث القلوب تتوقف عن العمل .. والأشواق تدخل الثلاجة الى حين :

ـــــ هيا .. جهزي الأوراق فالوقت ضيق .

صـــاح فلان بفلانة .. دونما صباح الورد التي اعتادها .. دون حتى نظرة .. فـــلان آخر أوصد ذاكرته بوجه أحلامه السرية .. لم يتخيلها كما يحب .. (**لـــيس هذا وقت الشبق**) انه الزمن الحرج .. اللجنة وما أدراك ما هي ..

نكـــون أو لا نكـــون .. (**هذا أوان الجد فاشتدى زيم**) .. نُقشت هذه الكلمات وامثالها على عقلنا الباطن .. (**وهجر الغانيات وشرب كأسٍ**).. جادت ذاكرة المدير الإداري بصدر البيت فنهره زميله (**طبعاً هذا ما يشغل بالك**) .. تدارك أمين سر المكتب الخطأ فتمثل : (**إني إذا ما نعى الناعي كليباً**) لكن الرد كان قاسياً (**ألم تحفظوا غير هذه القصيدة أيام المدرسة ؟ ما دخل الكلاب في الأمر ؟**) ..

ســـاد الصمت .. نضب المعين .. لكن الحركة لم تهدأ .. عند التاسعة تمامـــاً كان كل شئ مهيأً لقدوم اللجنة .. كنا قد استبدلنا كل شئ بأفضل منه .. حتى نحن .. كنا قد أصبحنا بشراً مختلفين .. باستثناء أسماءنا لم نكن نحـــن .. أحدنا استبدل حتى هواية جمع الطوابع بالمطالعة .. وآخر استبدل زوجـــته بأخرى طالما تمناها .. هناك من عثر وبمحض الصدفة على أخلاق افضـــل مـــن أخلاقـــه فتحلى بها .. بعضهن ارتدت براءتها القديمة لبعض الوقت.. إما فيما يخص مدير الدائرة فقد استأجر وبثمن باهظ شخصية أحد الخلفاء الراشدين .

وجاءت اللجنة ..

المعاطف الرمادية والوجوه الصارمة والتقاطيع الحادة كأسنة الرماح .. تجول الأعضاء الصارمون في أرجاء الدائرة .

تفحصوا .. طالعوا كل شئ .. تأكدوا .. وعندما انتهى الوقت كانوا قـد انهـوا مهمتهم المقدسـة .. (كل شئ على ما يرام) قالت المعاطف الـرمادية للوجوه الحادة الملامح .. كنا ننتظر .. هناك بعيداً عن الأنظار .. بعـيداً عـن أشـباهنا الذين يرتدون أسماءنا وينتعلون أحذيتنا للمزيد من الـتمويه.. كـنا نبتسـم بخبث ونراقبهم .. أعضاء اللجنة الموقرة .. لجنة التفتيش.. وهم يخلعون معاطفهم ويرمون بربطات العنق ويعيدون بأصابعهم الحادة رسم تقاطيع وجوههم من جديد .

أجداب !!

(1)

ـــــ ولكني لا اشربها .. لا احب القهوة .

ـــــ لكن الطالع يسكنها ..لن ترى وجهك إلا في قعر فنجان.

ـــــ أراه في المرآة وهذا يكفى .

ـــــ المرآة لا تريك إلا ما ترغب أنت برؤيته .. لكن طالعك لا يعبأ بك .. انه يحدث كل يوم .. يتجدد .. يبرم الصفقات .. يبتسم أو يعبس وجهه .. قد يهزل حتى يصبح كأطفال المجاعات وقد يموت من الشبع.. هل تعرف إن طالع المرء قد يموت ؟ .. أعرف شخصاً مات طالعه.. يقولون انه انتحر أو غرق فى قعر فنجان قهوة .. لا فرق .. المهم انه اصبح بلا طالع .. لذلك لم يتحرك خطوة واحدة .. حفر لنفسه قبراً يليق برجل بلا طالع ومات فيه.

وشربت ..

خفتُ من نهاية مماثلة فشربت .. وكان طالعي يسكن القعر .. حمدت الله انه لا يزال حياً .. لكنه كان يرفض الخروج من مكمنه .. حاول العراف .. بذل جهد الجبابرة .. استعان بالجن .. سّخر المردة .. وداخل فنجاني اندلعت الحرب الكبرى ..

تـــدخل الجن وبجميع الألوان .. الأحمر للقتال الشرس .. والأبيض لمحـــاولات الإقناع الودية .. والأصفر لبعض التهديد .. والأزرق لارتكاب المجازر.

تعالـــت ســـحب الـــبخور .. دمدمت الهمهمات الساخطة وُدقت الطبول.. واصبح قعر ذلك الفنجان ساحـــةً حرب حقيقية .. لكن طالعي المكابر ظل معتصماً بقعره محتمياً بصمتٍ أزلي لا يموت .

وهكذا كان ..

قُـــتل طالعـــي .. أصابته صاعقة طائشة من مارد في سيفه الكثير من الرهق .. سكت كل شئ ووضعت الحرب أوزارها .. غادر الجميع وبقيت أنا .. وحيداً لا اشرب القهوة .. متعباً احفر بهمة لا تفتر قبراً يليق برجل بلا طالع .

(2)

اضـــطجع بساط الرمل .. تمدد .. امتلأ تماماً بالوهج الذى يهطل من تلك الشمس المتكبرة .. تنفس الريح الساخنة وتقلب فى كل اتجاه .. نهض فى هذا الركن كثيباً متواضع الطموح وتسلل هناك سيفاً مخادعاً وهبط فى جزء آخر وادياً من جفافٍ لا يرحم .

عبـــث به القبلى .. ناوشته .. نشرته ملاءات من غبارٍ جاف .. لكن تلك الغيمة البعيدة أقبلت :

ـــــ إذا كـــنتُ محظـــوظاً ســـتمطر .. إذا كنتُ اقل حظاً ستحجب عنى الشمس لبعض الوقت .. أنا الرابح على أي حال .

قـــال بســـاط الرمل .. انتظر .. راقبها .. تأملها بلهفة .. بجوارحه كلها.. بذرات رمله الملتهبة ..

هـــناك .. فى الأعلـــى .. تمادت الغيمة .. تغنجت كامرأةٍ لعوب .. اقتـــربت قليلاً من قرص الشمس النارى .. تأهب البساط .. تحفز .. داعبته الأمنية البعيدة وتراءى له السراب .. ابتعدت .. تراجعت بعض الشئ فامتلأ بالحسرة لكن شيئاً من الأمل ظل يسكن خياله .

مر الوقت ..

يـــوماً بعـــد يوم .. سنة بعد سنة .. والى الآن لا زالت تلك الغيمة المتمـــنعة تلعب بأعصاب ذلك البساط القاحل فيما يناوشه القبلى وينشره ملاءاتٍ من غبار جاف.

(3)

.. أغلق البئر فاه ..

تكرمت السماء بالمطر طيلة اسبوع كامل لكنه آثر العطش ..

ـــــ هذا لا يجوز ..

قالت السحب الحبلى بالماء :

ـــــــ البئـــر لا يغلـــق فمه .. البئر لا يملك إلا أن يشرب لكي تشرب الدنيا منه .

أصـــر على عناده .. خالف النواميس وضرب بالمتعارف عليه عرض الحائط.

ـــــ هذا مجرد خطأ شائع .. البئر ليس مجرد حفرة بلهاء .. أستطيع أن اغلق فمي على الأقل .

قال البئر والعناد يسكنه .

.. تشـــقق بدنه وتسلل إليه الوهن حتى إن العناكب الوضيعة تطفلت على أركانه المظلمة .

ـــــــ هـــناك بعض الحلول الممكنة .. الرشوة قد تصنع المعجزات .. اقترحوا على هذا البئر العنيد ان نبعث له بحسناء تستقى منه وعاشق يناوشها بغزلٍ لا شبيه لروعته .. يتحاوران على حافته كل يوم ذات يوم .. يفوز البشر بالماء وينعم هو بالخلود .

اقترحت الريح ..

فكر البئر بالأمر .. استعرضه من جميع الوجوه :

ـــــــ يقصـــدنى العشاق وتغادرنى العناكب وفوق ذلك انعم بطول العمر .. عرض لا بأس به .

وافـــق البئر بنية حسنة .. فتح فاه .. امتلأ بالماء العذب .. اصبح البئر المهجـــور سابقاً واحة يتعانق فى سمائها النخيل ويتمدد على جسدها العشب الأخضـــر .. لكن عاشقاً واحداً لم يقصد البئر .. همسة واحدة لم تداعب سمعـــه القـــوى .. كـــان التجار يتوافدون عليه معظم الوقت .. يتجادلون بأصـــوات عالـــية .. يعرضـــون بضائعهم .. يقايضون .. يحصون أموالهم الـــوفيرة.. يمدحـــون الربح او يشتمون الخسارة .. يتقاتلون .. يتقاسمون الـــنفوذ.. يغتالون بعضهم غيلةً ويبيعون جمالهم الصابرة بأسعار لاتُنافس .. يملأون النهار بالجلبة والليل بالآثام .

ذات صـــباح عُثر على البئر ميتاً رغم وفرة المياه .. والى اليوم لا زال السبب مجهولاً .. لكن الثابت والمتوارث الى يومنا هذا ان التجار لم يفوتوا الفرصـــة .. باعوا أحجاره الى هواة الآثار ومياهه العذبة الى القوافل المارة فيما لا زالت الغيوم تُمطر جثته بالمزيد من الماء العذب وتدعو له بالرحمة ليل نهار .



موت جمل !!

كابر الجمل ..

تجمـــل .. ارتـــدى قناع الصبر .. دفن عطشه القديم ومضى .. مارس الكذب ألف مرة :

ـــــ أنا الجمل .. سيد الصابرين وسفينة الصحراء .. خُلقتُ للعطش .. للسنين العجاف .

صدّق الكذبة وظل يحفر بخفه العريض وشماً غائراً على وجه بساط الرمل المضـــطجع بلا نهاية .. كان يبدو مهيباً فخماً كملوك الجن .. غامضاً ككل الأساطير ..هذا عن الخارج .. إما في داخله فقد كان العطش ينهشه بلا رحمة.

تخيل جرعة ماء .. زين له الوهم واحةً هادئة مترعة ببحيرة عذبة المذاق تنحني عليها بضع نخلات مكابرات :

ـ اشعر بالعار .. ها أنا أقع ضحية للسراب الخادع.. لستُ جملاً أصيلاً .. يخامرني الآن شك في نقاء سلالتي .. ربما ولدت من رحم ناقة سيئة السمعة .. قاتل الله سوء الظن .

استبد به العطش ومدت له الصحراء لساناً من نار :

ـــــ لستِ أماً لأحد أيتها القطعة من جحيم .. ألا تقول الروايات إني ابنك ؟ .. سفينتك ؟ أتبخل الأم على جنينها بقطرة ماء ؟

عجز عن المسير .. توقف .. جال بعينيه الحزينتين في الفضاء الساكن.. خمســون يوماً كاملة مرت دون أن يشرب .. دون أن يشرق بالماء الزلال .. دون أن يغوص برأسه العجيب مستشعراً برودة الماء العذب :

ـــــ للمـــاء العذب برودته المميزة .. انه يحتويك .. يحضنك ويقبل روحك بحنان تعجز عنه أطيب الأمهات .. عندما تستنجد به من وهج الــرمال الملتهبة فانه يتحسسك بأنامله الرطبة .. يسقيك من بدنه الرقراق .. يــبعث فــيك حياةً جديدة .. لكنه يتركك بعد ذلك مذعناً لقانون الصحراء الصـــارم .. العطش أزل والارتواء عبور .. العطش أزل والارتواء عبور .. لتسقط نواميسك أيتها الصحراء .

عاد للهذيان وقد فقد تماماً قدرته على مجرد الوقوف :

ـــــ كــيف تجلــس الجمال ؟ كيف تضطجع ؟ الحق إني لم أصادف جملاً معدوم الهمة مثلي .. الجمل الحقيقي لا يحيا فوق هذه الصحراء إلا واقفـــاً .. انه يضرب رمالها البليدة بخفيه العظيمين ويتطاول برقبته العوجاء علــى كثــبالها المراوغة .. الجمل الحقيقي يتهادى .. يزهو بسنامه الشاهق .. ينظـــر الى الدنيا من عليائه .. يقترب من السماء ويدوس على الأرض ..هكذا هى الجمال .

تبجح قليلاً .. لكنه سقط .. رغم كل هذه المظاهرة الإعلامية الصاخبة ســقط الجمل .. كان العطش يقتله .. حتى انه صار يرى كل ما حوله غائماً رماديـــاً .. تطلع إلى الأعلى .. كانت الشمس قد تربعت على عرشٍ لا تراه

الجمال في العادة .. كانت قد توهجت .. امتلأت بالنار حتى التخمة .. حتى إنهـــا اقتــــربت من الأرض مستعرضةً جبروتها لبعض الوقت .. عندها أدرك الجمل كل شئ :

ـــــ هي إذن مؤامرة .. مكيدة .. الصحراء تمد يدها للشمس لكي تموت الجمال المكابرة .. فقط لو يسمح الماء .. لو يمد لى يده .

تخلـــى عن أمنيته الساذجة ليواجه السراب الذي تراقص أمامه معلناً عن اقتراب النهاية .. أدرك إن الأمر قد انقضى عندما سكت كل شئ .. انطفأت المصابيح دفعة واحدة وتجرأت ذرات الرمال الساخنة حتى سكنت حدقتيه :

ـــــ الجمــــل لا يموت عطشاً .. يبدو إنني سأجلب العار لكل جمال الدنيا .. الجمل يموت بعناده .. فداءً لسيده الشجاع .. بمحض إرادته.. لكن بالعطش .. هذا أمرٌ لا تطيقه الجمال .

واصــــل هذيانه .. لكن العطش لم يتوقف عن الفتك به .. عندها قرر أمــــراً .. اســـتدعى كبريائه القديم .. استنجد بماضى اجداده الغابر .. أسياد الصــــحراء ومحترفى الجفاف .. وبما تبقى له من جهد وقف من جديد .. وقف والاعَـــياء يجلـــده والهلاك ينهشه بنهم .. تماسك لبعض الوقت .. داس على الـــرمال بخفيه العظيمين وتطاول برقبته العوجاء متهادياً بسنامه الشاهق هامساً فى وهنٍ ظاهر :

ـــ هكذا هى الجمال !!

الدائرة المغلقة

ـــــ صباح الخير ..

أنا الحزن .. سأقتلك هذا اليوم .. ستموت حزناً .. وسيقتل الفضول طبيبك الشرعي دون ان يعرف سبب وفاتك .

قلتُ صباح الخير ..

هل نبدأ ؟

لم افتح له الباب .. لا يتهمني أحدكم بالغباء .. فقد وجدته مضطجعاً علـــى وسادتي عندما استيقظت .. صبحني بالخير وسألني هل يبدأ .. ظل يفعل ذلك حتى اقبل الليل :

ـــــ مساء الخير ..

أنا الحزن .. في الواقع كنت أنوي اغتيالك بداعي الحزن .. لكنك لم تـــنهض مـــن فراشك حتى الآن .. أليس لك نهار عمل ؟ لن يكون قتلك ممتعاً بهذه الصورة .

لم يطاوعني الكلام .. كنت افتقد إلى الحافز .. انكفأت على داخلي.. أحدق ملياً داخل الصدر المنهك وأمضغ لغةً لم تُخلق بعد :

ـــــ دائـــرة مغلقة .. لا أكثر ولا أقل .. وبين الليل والـــنهار ســـيكبر أطفـــالي ..ستنبت لهم أجنحة وسيرحلون .. أثناء ذلك ســـأكون قد خسرت عمراً كاملاً وحبيبةً لن تعود .. سأفقد أصدقاء العمر

ثم العمر نفسه .. سأموت مائة مرة .. أثناء ذلك سأصبح كهلاً ابعث على السأم .. ستكتمل الدائرة .. فلماذا استيقظ إذاً ؟

أشرقت الشمس مجدداً وغربت .. فعلت ذلك ألف مرة .. و لم اكن قد استيقظتُ بعد .. لكنى رأيت فيما يرى النائم إن الحزن بشحمه ولحمه قــد وجــد ميتاً على طرف وسادتي .. بينما يؤكد شهود العيان ان طبيبه الشرعى لم يقتله الفضول لمعرفة سبب الوفاة هذه المرة.

ذاكرة الصفيح

لا نساء ..

المرأة الأخيرة أُحرقت منذ اسبوع .. واطباء التوليد المخلصون يوافون السلطات بآخر الأنباء المتعلقة بولادات الإناث .. لذلك فالوأد (بحمد الله) يسير سيراً حسناً .

لا نساء ..

صـــحيح إنـــنا لم نحقق هذا الإنجاز الحضاري إلا بالكثير من الجهد .. لكننا وصلنا أخيراً ..

في الـــبداية كانـــت عقـــدة الذنب وخاصةً فيما يتعلق بالأمهات .. العاطفة.. تلك الثغرة في كياننا الصناعي الوليد .. لكننا انتصرنا .. قتلنا في الـــبداية كـــل من بلغت الستين .. كانت مجزرة صغيرة .. لكن الأمر مر بسلام فاختراع القلوب المعدنية كان فعالاً إلى ابعد الحدود .

كـــان لابد من إزالة كل الشبهات .. كل العواطف الساذجة التي قد تعـــود بـــنا الى الـــوراء .. وهكذا .. وبموجب نظام تقني متطور محونا من الأذهان كل ما تفوه به

البشر القدماء عن الأم وحنانها .. عن قهوتها وطيبة قلبها..أشياء كثيرة لم نعد نذكرها الآن..بالأصح لم نعد نحتاجها..ففي مجتمع تتكون ذاكرته من الرقائق المعدنية يغدو التعلق بالرومانسية عملاً مشيناً لا يليق بأحد ..

كـــنت أحدثكم عن عصر (اللا نساء) .. إنجازنا الكبير .. في الواقع اضطررنا الى ذلك .. كان العشق يقتل كل يوم العشرات من خيرة شبابنا..

يحبون بشغف .. يذوبون رقةً ويفنون ذواتهم فى طلب الوصال .. ويتركون أعمـــالهم للإهمال والتسيب .. ويوماً بعد يوم كانت معالم حضارتنا المعدنية تعـــانى شحوباً ينذر بالخطر .. حاولنا إيجاد علاج ملائم عن طريق التأهيل النفسى لكن جمال نسائنا المذهل كا ن عصياً على الترويض .. كن بديعات الـــتكوين كآلهـــة الإغريق .. ناعمات الملمس كالحرير .. رائعات الحضور كأجمـــل الأحـــلام .. لذلك كان لا بد من علاج .. اتخذنا القرار الأقرب للمنطق .. لا نساء .. علماؤنا أجابوا على سؤال البقاء .. كان الاستنساخ هو الحل .. صرنا نستنسخ رجالنا الأشداء ونمنحهم قلوباً معدنية متطورة .. مضـــخات حقيقية من معادن لا تصدأ .. وعلى مراحل دُرست بعمق بدأنا المسيرة الكبرى .. أحرقنا نسائنا الرائعات .. صرنا مجتمعاً من أولاد الحضارة الحقيقـــية .. حضـــارة المعدن .. صارت حياتنا أكثر انتظاماً .. لا أمهات يحتـــرفن الطيبة ولا عشيقات يخضبن حياتنا بالحناء ولا نساء يرصفن الأزقة بالعطور ..

ها أنا أكتب عن تلك المرحـــلة القديمة .. زمن النساء الجميلات .. أنا (الروبوت) المجتهد .. احمل قلباً من الصفيح المصقول .. واتلقى بانتظام الإشارات المخية التي تحمل التعليمات إلى كافة أعضائي المثابرة .. استنشق غبار الإسمنت العالى الجودة .. واتنفس هواء المصانع المنعش .. امتطى الالآت الخرساء بساطاً اسطورياً من ريح مجنونة .. وفى داخلي تولد كل يوم صورة بعيدة .. باهتة التفاصيل .. بعيدة الملامح .. لامرأة بديعة التكوين كآلهة الإغريق .. ناعمة الملمس كالحرير .. رائعة الحضورً كأجمل الأحلام !!

السحابة العاشرة

(1)

هـــناك .. فى أقصـــى الأفق .. حيث يوجد البعيد وتعصب السماء رأسها بتسع سحابات ناصعةٍ كالثلج بينما تراقب العاشرة ما يجرى .

الواقـــع ان لا شئ يجرىً .. هذه ليست مفاجأة .. فذلك الأفق الممتد بـــلا نهاية لا يضمر شيئاً .. لا ينوى الخير ولا الشر .. انه مجرد أفق يعصب رأسه بتسع سحابات بينما تراقب العاشرة ما يجرى .

(2)

هناك .. مرة أخرى هناك .. اشتقت إلى وجه حبيبتي وفنجان قهوة .. ربمـــا كانـــت خطيئتي إني بدأت بالقهوة .. على قعر الفنجان تشكل وجه الفقـــيه .. (حبيبتك ؟ .. كيف ؟) سألني والشك يسيل من جوانب فمه كاللعـــاب .. (هل في الموضوع حلال أو حرام ؟) .. عاد للشك .. (في الموضـــوع عاطفة .. حنين إلي البعيد عن متناول اليد القريب من متناول القلـــب) .. خرج الوجه من الفنجان بعض الشيء .. صار اكثر وضوحاً (رجـــسٌ مـــن عمـــل الشيطان) .. صاح في وجهي .. غافلته وشربته مع القهوة.. صار الفنجان جزيرة من سائل حاد المرارة .

وصـــرتُ ســـندباداً ضائعاً بلا حتى حطام سفينة ومن بعيد ظل وجه حبيـــبي يســـكن قعر الفناجين خائفاً من وجوهٍ غائمة الملامح تتشكل على سطح قهوة سوداء .

(3)

قررت ان اصبح بطلاً ..

أخـــبرونى إن عبور الصحراء بطولة .. وان عبور البحر بطولة .. وان رفع الأثقال بطولة .. وان الصمت هو اكبر البطولات .

قـــررت أن اصمت (بطولة كبرى بثمنٍ قليل) قلتُ لنفسى .. (فى الصـــحراء سيقتلنى العطش وفى البحر سأموتً غرقاً .. وسأعجز بالتأكيد عن رفع الأثقال) .. قلت لنفسى .. وهكذا كان .

اشتريت منزلاً جدرانه كاتمة للصوت وحديقته لا تغنى فيها الطيور .. تـــزوجت قطعةً من هدوء مميت وانجبتُ أطفالاً بلا ألسنة .. اخترتُ حياةً مليئة بالصور .. بالمشاهد .. لكنها بلا صوت .

كـــنتُ احـــب الطرب .. لكنني صرت استمع الى مطربين يحركون شفاههم ويلوحون بأيديهم دون ان يتفوهوا بكلمة واحدة .

هكذا صرتُ بطلاً .. لكنى مُت .. توفانى الله .. فقد قتلنى الحنين الى الكلام .

(4)

(الجامـــد) عفـــريتٌ طيب .. لم يؤذ بشراً طيلة حياته المديدة .. لم يسكن قارورة من زجاج أزرق و لم يدركه النوم داخل ابريقٍ لزيت الطعام.. و لم يتشـــكل يـــوماً فى صـــورة وحش كاسر او ارنب وديعٍ .. (الجامد)

عفريت حسن السمعة يسكن بيته الخاص به .. المخصص للعفاريت أمثاله.. لكن الرجل (أقصد العفريت) وقع فى الحب .

عَشِـــق (فاتـــنة) .. الواقع انه صبر طويلاً قبل ان ينهار على هذه الصـــورة .. (فاتنة بشرية رائعة الجمال وانا مجرد عفريت بشع وان كنت حســـن الســـمعة بعض الشئ) قال لنفسه ثم اتخذ القرار الصعب .. أرسل أقاربـــه الى أهل محبوبته كما يفعل الرجال الطيبون .. لم يسكن جسدها أو يتســـبب لها بالكوارث (ابنى عفريت مثابر .. يمتلك مستقبلاً زاهراً وعشر ســـحابات بيضـــاء وقطيع من الغيوم المتخمة بالمطر .. يستطيع ان يوفر لها ســـكناً لائقاً .. صحيح انه لا يحب أباريق الشاى لكنه مستعد للتضحية من اجلها) تكلم والده الشيخ بلهجة رزينة أثارت إعجاب الحضور .

وافقت البنت .. وافق أهلها وبارك أقاربها الزواج المثير للجدل .

تـــزوجت (فاتـــنة) عفـــريتها الطيب .. مر زمن طويل على هذا الحدث.. صارت فاتنة اليوم زوجةً راشدة تسكن غيمةً منذرةً بالمطر وترعى قطـــيعاً مباركاً من السحب البيضاء .. فيما يدمن زوجها الطيب النوم تحت اجنحة الطيور العابرة مزهواً بزوجته الحسناء وسمعته الطيبة .



حبة أسبرين ! !

((.. نُكب البرامكة (يقول التاريخ) .. **نكبهم الرشيد فشتت شملهم .. صاروا أثراً بعد عين))** .. تحولت الذكرى برأسي .. تخيلت مشاهد الذبح الحلال والسياف المجتهد يفصل الرووس عن اجسادها .. وتختلط الأجساد برووس غيرها .. هذا الرأس ليس لهذا الجسد .. أين اذاً جسده .. وذلك الدم يجرى بينهما .. جسد ميت ورأس مقطوع ..

ـــ ونُكبت أنا .. (كان يحدث نفسه كالممسوس) .. نُكبت أنا .. ليس الرشيد هذه المرة من نكبنى .. لكنها هى .. (خاطبنى للمرة الأولى) هى يا مستور .

عاد لهذيانه وعدت أنا لبعض شأني .. كنتُ أضمد جرحاً لا دماء له.. اغلق بحبة الأسبرين ثغرةً في رأسي .. لكن الصداع يرفض هذه الحيلة المستهلكة وينصب الألم عرسه الصاخب .. هناك .. وسط جمجمتي تماماً.. تحرث سنابك خيله الظافرة ساحة جبهتي ويظل يوجعني بإيقاعات طبوله المدوية ..

((.. ونُكب المسلمون ذلك اليوم .. كانت هند تأكل كبد حمزة .. تمضع اللحم ولذة الشبع تداعب مذاقها .. كانت كبد حمزة شهية الطعم ذلك اليوم وكانت المرارة في أفواهنا إلي اليوم)) .

(عـــاد للهذيان) ونُكبت أنا يا مستور .. لم تأكل كبدى هند .. لكننى صرت الآن عدماً .. أُكلت تماماً .. ولا اتهم هنداً بشئ .. هى التى فعلت .

لم أعد أطيق مجرد الإنصات إليه ..

كـــان الصداع يحفر بالألم تجاعيداً لا أراها لكنى أحس بها .. يزداد النـــبض .. يـــتدفق الدم في الأوردة الضيقة فتضيق به .. انتفض مع سياط الألم.. أتوجـــع .. أكتم آهةً واعجز بعد ذلك عن الكتمان .. ويظل الوجع يسكن رأسي بلا أملٍ في الرحيل .

((.. كانـــت ســـيوف الرشيد تقطع أوصالهم .. أولئك البرامكة .. وفى توقـــيت واحـــد أُرسلت فرق الموت إلى البيوت تحصد كل من ينتسب إليهم.. كانت دمائهم تلطخ أبواب بيوتهم ..))

ـــ اسمعي جيداً .. سأعترف لك يا مستور .. انتظرتها لشـــهرين .. قمـــران كـــاملان .. مشرقان كألف شمس .. عبرا سمائي .. أحـــدهما همس لي بمودة بيضاء كوجهه : إنها مقبلة إليك .. الآن .. (عاد للكلام معي) .. واقبلت يا مستور .. رأيتها .. كان النسيم يلهو بظفائرها كعادتـــه .. سعيتُ إليها .. من عادة النهار أن يسعى إلى شمسه .. بدونها لا يصـــير نهـــاراً لـــذلك يسعى إليها .. أنا ايضاً فعلت .. لكنها اختفت .. واختفـــيت أنـــا .. أصبحنا ظـــــلالاً لا شكل لها .. تبتعد كلما أرادت الاقتـــراب .. كنت على ضفة الغدير يا مستور والعطش يقتلني لكنى عدت منهكاً يقتلني العطش .

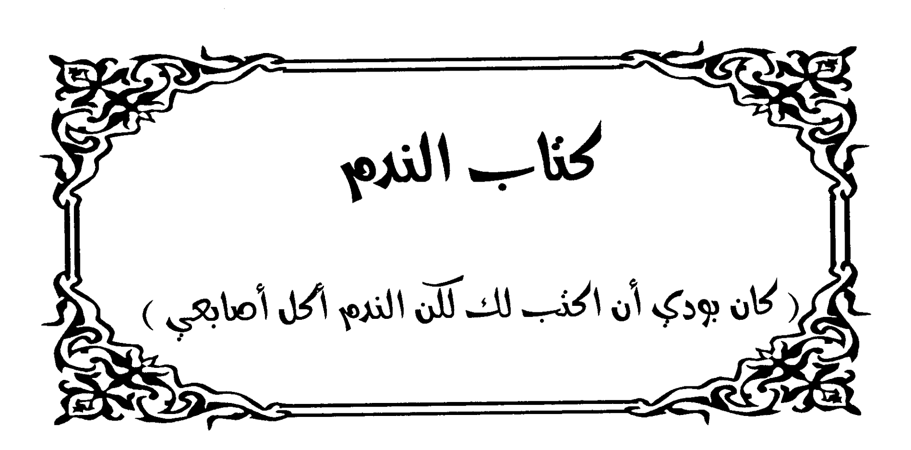
كـــان بودي أن أواسيه ببعض الكلام الطيب .. أن امسح القليل من أحزانه بالقليل من الود لكنى عجزت .. استعصى على فمي الحديث .. فقد كـــان الصـــداع يـــتوغل بجحافله داخل العين اليمنى ومنها يرسل جنوده الأشـــداء إلى اليســـرى فاعجز عن مجرد التركيز .. كانت الأشياء تبدو لي رماديـــة ومائعـــة كالسراب .. وكنت اسند رأسي بيدي .. اضغط بوهن واتقلـــب في كـــل اتجـــاه .. لا بد أن يسكن الألم عند هذا الوضع أو ذاك الآخـــر.. المهـــم أن يمد لي يده بهدنة مؤقتة .. أرسلت له الرسل .. طلبت الصـــلح .. توسلت .. لا املك غير هذا الرأس فلا تعبث معي أيها الألم .. لي هـــذه الجبهة فابعد سنابك خيلك عنها .. دعني استمع إلى الرجل يشكو مـــا ألم به .. دعني أحيا هذا العمر القصير .. ودعنى الآن .. كن على الأقل اقـــل حـــدة .. أيهـــا الصـــداع .. أتحـــدث معـــك فـــاسمعنى .

((.. ويقولون إن الرشيد لما رأى تزايد سطوة الفرس على العرب قرر أن يـــنكب الـــبرامكة فغضب على وزيره جعفر البرمكى .. ومن أحد جســـور بغداد استوحى الفكرة .. فشق جسد الرجل وعلقه نصفاً على كل جانب .))

شئ كالصداع النصفى .. نصف هنا وآخر هناك .. وجد الرشيد علاجـــاً للصداع وعجزت أنا فيما كان صديقي المنكوب كالبرامكة يواصل سرد حكايته من وراء طوفان الألم الذي يضرب رأسي بحقد لا افهمه :

ـــــ نكبـــتني يا مستور .. أشرقت علىّ كالشمس لكنها غـــربت قـــبل أن املأ عيني من نورها .. اختفت يا مستور وعاد لى البرد

وذلـــك الانتظار القديم .. مستور .. (خاطبنى باهتمام هذه المرة) عاد لك الصداع ؟ .. ما رأيك بحبة اسبرين ؟!



كتاب الندم

(كان بودي أن اكتب لك لكن الندم أكل أصابعي)

(1)

(يعضون بنان الندم) ..

يخطئون هم فما بال الندم يقضمون أصابعه ؟

(2)

كـــان الـــندم يأكل قطعة من كبدى .. وكانت أصابعى تتآكل بفعل الحسرة .

حدث هذا منذ زمن .. قبل أن أموت ندماً .

(3)

اقترف الرجل تلك الخطيئة .. أكل تفاحة واحدة فخرج من جنة الخلد أبد الدهر

من منهما أحق بالندم .. هو أم ذلك الدهر ؟

(4)

أيهـــا الندم .. مهلاً .. ابوابنا ليست من حديد وقبضتك ليست من حرير .. تمهل قبل أن تندم حيث لا ينفع الندم .

(5)

(قبل أن تندم حيث لا ينفعك الندم) ..

(حيث) هذه تفيد موضعاً .. مكاناً .. ولكن .. هل توجد فى الدنيا كلها أرضٌ ينفع فيها الندم ؟.. أين هى لأندم هناك بلا حدود .

(6)

(ندمت ندامة الكسعى لما)

كســـر الكسعى قوسه فندم .. طلق الفرزدق أمرأته فندم .. فلنحترس اذاً .. الندم يسكن استدارة قوس مجرب ومجاهل امرأة رائعة.

(7)

كم ندمتُ ذلك اليوم ..

تــــركتك لبعض الوقت فافتقدتك شهراً كاملاً .. افتقدتك شهراً لكنى ندمت دهراً

اتذكرين ؟ .. ذلك اليوم .

(8)

لستِ قوساً كسرتها .. ولست امرأة طلقتها ..

لستِ مالاً ضاع مني .. ولستِ فرصة ضيعتها ..

لكنه الندم يقبل من جديد .

(9)

كان بودى أن أكتب لكِ .. لكن الندم أكل أصابعي .

(10)

أدركه المشيب ..

ذلك الشيخ الهرم .. كان يتكئ على جدار داره وينظر الى حيث ذلك الندم .. يحتسيان الشاى ويتسامران .. كان يحاوره كأي صديقٍ قديم .. يعاتبه حيناً .. وأحياناً كان يشكره :

ــ شكراً لك أيها الندم .. لولاك لأصبحت وحيداً بعد أن هجرنى الجميع .

(11)

ـــــ اختارنى زوجة .. جربنى .. ولن تندم .

كـــان يبتسم .. يتذكر حديثها وهو يضع وردة على قبر ذلك الندم الذي مات ندماً .

(12)

حبلت به الدنيا ..

كانـــت بهيجة مبهجة قبل أن تفعل ذلك .. وعندما آن الأوان لم تكن تصـــرخ ألماً كأية امرأة .. كانت تقضم أصابعها واحساس الحسرة يطعنها حتى اطل براسه ذلك الوليد .. ذلك الندم .

(13)

أكثـــر من هذا الغياب لا احتمل .. سيقتلنى ذلك الندم .. الندم الذى لا يموت .

(14)

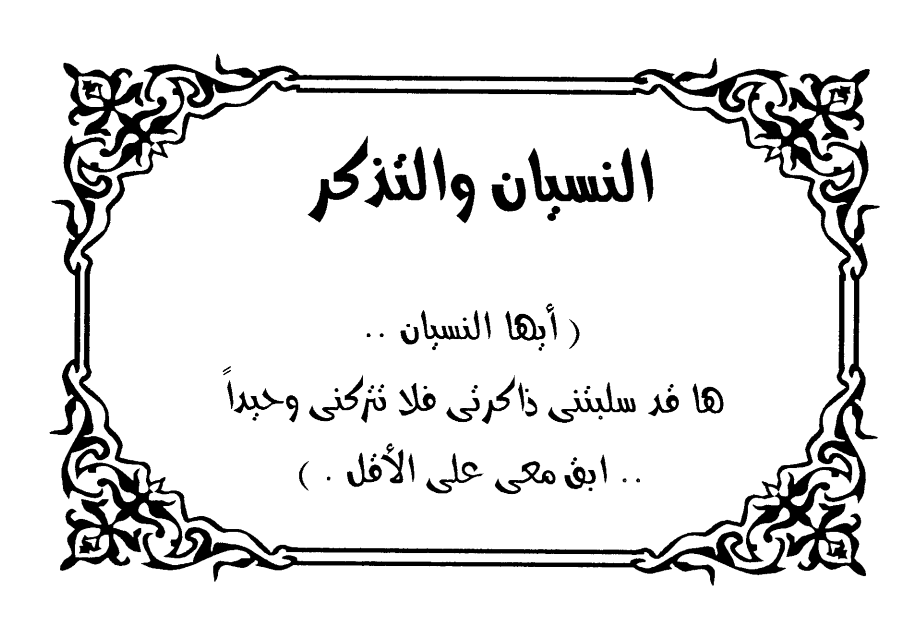
اكل الندم كبدى وجزءاً من رئتى اليسرى .. أكلنى الندم .

(15)

لا تندم .. قال لى الحكيم ..

لن أندم .. وعدته وانصرفت ..

كم ندمت على ذلك الوعد .. كم قتلنى الندم .النسيان والتذكر



النسيان والتذكر

(أيها النسيان ..

ها قد سلبتني ذاكرتي فلا تتركني وحيداً

.. ابق معي على الأقل .)



(1)

كثيراً ما أنسى ونادراً ما أغفل عنك .

(2)

شر البلية ما يُضحك .. هناك ما هو افدح .. ما لا يمكن نسيانه !

(3)

يبتعد عن العين فينشغل به القلب .. يحضر فينشغل بغيره .. هناك خطأ ما .. أليس كذلك ؟

(4)

أيهـــا النسيان .. ها قد سلبتني ذاكرتي فلا تتركني وحيداً .. ابق معي على الأقل !

(5)

كنت املك ذاكرة قوية إلي ان صاح النسيان ذات يوم : آه انه فلان.. لقد تذكرته !!

(6)

من قال إن النسيان يعنى الموت .. من يكتب هذا الكلام إذن ؟

(**7**)

يــومها حــذرتني أمــي : لا تنسى أمك .. يومها لم تكن تدرى إنها ذاكرتي !

(**8**)

يــبدو انــك فــلان .. صــديقي القديم .. أعذرني .. لولا النسيان لتذكرتك.

(**9**)

(انســيت اوعودك .. وانسيت هدب ناعس فى بياض اخدودك) .. من أين له كل هذه التفاصيل ما لم يكن يتذكرها كل مطلع شمس ؟

(**10**)

أدركنى النسيان .. تسألون متى ؟
اعتقد إني نسيت .

(**11**)

حــتماً سيقبل اليوم الذي سأنساك فيه .. ولكن .. لي عندكِ رجاء .. عندما يقبل ذلك اليوم ذكريني به .. حتى أنساك .

(12)

كانت لي حبيبة .. تذكرت الآن إني نسيتها .

(13)

تتذكر الشمس انه الصباح .. فتشرق .

(14)

يتذكر القمر جمال وجهه فينسى ان يطرد عنه الغيوم .

(15)

أتذكرك فأنسى .. أنساك فأتذكر .

(16)

ذات مرة نسيتك .. أتذكرين ؟!

(17)

اللون الأصفر يمتلك ذاكرةً قوية .. انه لا ينسى في العادة .

لـــذلك أكـــتب لك على ورقٍ أصفر .. ربما نسيتك يوماً فيتذكرك الورق .

(18)

أيهـــا النســـيان .. خذ ذاكرتي واترك لي حبيبتي .. لن أنسى لك هذا الجميل .

(19)

(أذكر انكِ كنتِ جميلة كالجمال نفسه .) .. قال لها

(وأنت .. كنت تملكُ عينين رائعتين .. فيما أذكر) قالت له

(هل تذكرهما أيها النسيان ؟)

قالت الذاكرة .

الفهرس



رمته بالسؤال :

- (والفت) هذه .. هل هي الحب ؟

تمردت خصلة الشعر من جديد .. عاد لها بعض النزق .. مدت يدها للريح .. لنسمة هواء عابرة .. تطاولت حتى تمكنت أخيرا من مصافحة الوجه الملائكي .. عندها عاد اليها الهدوء .. استكانت .. اعتذرت عن سوء السلوك وعادت الى سيرتها الأولى .

كان يلوذ بالصمت ويراقب ما حدث .. لكن السؤال ظل بحاجة الى جواب سريع .. كانت تنتظر بصبر نافذ :

- والفت .. من الالفة .. نحن نألف الشئ .. نستكين اليه .. نستظل به .. نغفو في حضنه .. الألفة ليست هي العادة .. اعتيادنا للأشياء لا يعنى تآلفنا معها .. قد نعتاد على الفقر .. على البؤس .. على الموت .. على الفشل .. على الفراق .. على الخيبة .. لكننا ابدا لا نألف كل هذه الكوارث .. لا نشعر بالتواصل معها .. لكن الألفة شئ آخر .. الألفة تضمنا اليها .. تنادينا .. تهمس لنا .. تمسح بيدها المضيئة رؤوسنا .. تغسل مواجعنا .. تمسّد باناملها الودودة أحزاننا .. هذا ما تفعله بنا الألفة .

الاعتياد لا يقدم لنا شيئا من ذلك .. أنه يتملّكنا فقط .. العادة شهوة تملك .. غريزة استبداد .. اما الألفة فهي دليل انتماء .. الألفة تنتمي الينا .. لكن العادة تتملّكنا .

- هل فهمتِ الآن ؟

الصديق بودوارة



مجلس تنمية الابداع الثقافي

المقر الرئيسى / بنغازى هاتف: 061-9082003-9082002-061

بريد مصور: 061-9082004 ص . ب 9351

بريد الكترونى : Lcc@mail.Lttnet.net